13 me Année No. 606

Lundi - 12 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٦٠٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

صفحة

الاتجاهات الحـــــديثة

فى الأدب العربى

للأستاذ عباس محمود العقاد

شاعت فى الأدب العربى اتجاهات حديثة منذ أوائل القرن الحاضر لم تكن شائعة فى عصوره المـــاضية . ولـــكنها على هذا لم تزل على اتصال بعناصر الأدب العربى من أقدم عصوره.

ومن شأن هذا الاتصال أن يحوط حركة التجديد بشىء من الأناة والتريث ، لأن الأدب العربى متصل باللغة كجميع الآداب فى الأمم كافة ، ولـــكن اللغة عند العرب خاصة متصلة بكتاب الدين الإسلامي وهو القرآن الـــكريم ، ومن هنا كان الانقطاع بين الاتجاهات الحديثة والعناصر القديمة أصعب وأندر من المعهود فى آداب الأمم الأخرى ، وأمكن أن تقاس درجة المحافظة ، أو درجة التجديد ، فى كل قطر من الأقطار العربية بمقياس التراث الإسلامى فيه . فحيثما تمـــكن هذا التراث فى جوار الأماكن المقدسة ، أو المساجد الـــكبرى، أو المعاهد العلمية العريقة، فهنالك تزداد الأناة فى تلبية الاتجاه الحديث ، ويشتد الحرص على دوام الصلة بين القديم والجديد ، كما يشاهد فى أطوار حركة التجديد بالحجاز والعراق والشام وفلسطين وبلاد المغرب ومصر ولبنان

وإلى جانب هذا العامل القوى من عوامل الأناة المقصودة ، يعرض للأدب العربى سببان آخران غير مقصودين ، يعوقانه عن الاسترسال مع كل حركة جديدة وكل اتجاه حديث . وهما

غلبة الأمية وقلة القارئين ، ونقص وسائل النشر لتوزع القراء بين الأقطار العربية وصعوبة توحيد النشر فيها

وقد يظهر اختلال وسائل النشر حتى فى القطر الواحد الخاضع لحكومة واحدة ، كما نرى فى الديار المصرية ، حيث أوشكت القاهرة أن تنفرد بوسائل النشر المنتظم وتعذّر قيام المكتبات الناجحة فى غير العاصمة الكبرى

فالاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى تخضع لهذه العوامل التى نحدها عن قصد وروية ، أو عن ضرورة لا قصد فيها ، وهى عوامل يندر أن تجتمع نظائرها فى أدب أمة واحدة ، ولهذا يلاحظ أن الاتجاه الحديث فى أدبنا العربى يجرى فى مجراه بداءة ثم لا يبلغ أقصى مداه الذى يتاح له أن يبلغه فى الأمم الأخرى ، ولا يخلو هذا الحد من بعض الخير ، حين يمنع الاندفاع والاعتساف فى اتباع الدعوات الطارئة ، ولكنه خليق أن يعالج فى جانب التعويق منه ، كما كان هذا التعويق عارضاً من عوارض النقص والاختلال

وعلى هذا كله قد اتجه الأدب العربى فى أوائل القرن العشرين وجهات محسوسة لم تكن شائعة فى عصوره الماضية بعيدها وقريبها ، سواء فى مبناه أو فى معناه ، أى سواء فى الألفاظ والعبارات ، أو فى المطالب والموضوعات

* * *

ففى اللفظ تتجه الكتابة العربية إلى التصحيح والتبسيط ، وتنجم فى العالم العربى من حين إلى حين دعوات جدية إلى إعادة النظر فى قواعد اللغة ، لتيسير الكتابة بها وتعميم فهمها . وتصدر هذه الدعوات عن نيات مختلفة لغايات متباينة . ولكنها قد تنقسم فى جملتها إلى قسمين اثنين : أحدهما يراد به تغليب اللغة الفصحى ، والآخر يراد به تغليب اللغة - أو اللهجة - العامية وإحلالها محل الفصحى فى الكتابة والخطابة وأحاديث المعيشة اليومية .

وكل ما يبدو من مصير هذه الدعوات أن الأمر لا ينتهى بانفراد اللغة الفصحى ولا بانفراد اللغة العامية فى الكلام المكتوب . وإنما يدل الاتجاه الظاهر — إلى يومنا هذا — على إمكان العزل بين الموضوعات التى تستخدم فيها كلٌّ من اللغتين . فتستخدم العربية الفصحى فى الموضوعات العامة الباقية ، وتستخدم العربية العامية فى الموضوعات المحلية الموقوتة ، ومنها لغة الكثير من الروايات التمثيلية سواء فى المسرح أو فى الصور المتحركة ، وكأنهم يحسبونها بهذه المثابة من الكلام المسموع الذى نمر به فى المسرح كما نمر فى الأسواق والبيوت ، ولا يشعر من يسمعه بالانتقال من بيئة المعيشة اليومية إلى بيئة التعليم والثقافة ، وقد يساعد على الترخص فى لغة التمثيل أنها لا تكتب الآن ولا تؤلف للبقاء الطويل ، وإنما تؤلف لموسم بعد موسم ، وقلما تعاد بعد انقضاء مواسمها

أما موضوعات الكتابة العربية ، فأول ما يلاحظ فيها غلبة المنثور على المنظوم ، خلافاً لما كان معهوداً فى معظم العصور ، قبل بداية القرن العشرين .

ولا بد من انتظار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة . ولكننا نستطيع أن نلمس منذ الساعة ، سببين بارزين يفسران لنا هذا الاتجاه الجديد فى تاريخ العصور الأدبية : أولهما أن الشعر كانت له فى العصور الماضية طائفة نافذة السلطان تشجعه وتتكفل بقائليه ، وهى طائفة الممدوحين من العظماء والسراة وأصحاب المصالح السياسية ، ولا سيما فى الزمن الذى كان النظم مفضلا فيه على النثر فى الدعوات السياسية لسهولة حفظه على الأميين وغير الأميين . وثانيهما أن الشعر قد شورك مشاركة قوية فى بواعثه ودواعيه عند جمهرة القراء من غير طبقة السادة والعظماء . فإن جمهرة القراء يجدون اليوم منافذ كثيرة للتعبير عن العاطفة والترويح عنها فى الروايات الممثلة والروايات المقروءة وما يذاع من الأغانى أو يحفظ فى قوالب الحاكى ويردد فى المحافل العامة ، فضلا عن الصحف والمجلات وسائر النشرات . وكل أولئك كان ميداناً وحيداً للشعر أو كان ميداناً للشعراء يوشك أن ينفردوا فيه .

ويلاحظ بعد هذه الملاحظة العابرة عن الشعر والنثر ، أن نصيب القصة فى الكتابة المنثورة آخذٌ فى الازدياد والانتشار ، وأن فن القصة العربية قد تقدم فى الربع الثانى من القرن العشرين تقدماً لم يعرف له مثيل فى ربعه الأول ولا فى القرن الماضى الذى ازدهر فيه فن القصة بين الآداب العالمية . وفى بعض القصص التى تؤلف فى هذه الفترة نزوعٌ إلى ما يسمى بالأدب المكشوف ترتضيه طائفة من قراء الجنسين ، ولا يقابل بالرضى عنه من جمهرة القراء

ثم يلاحظ مع هذا أن الترجمة تنقص فى هذا الربع الثانى وأن التأليف يزداد ويتمكن فى كثير من الأغراض .

ولعل مرجع هذا إلى نمو الثقة بالنفس فى الأمم العربية ، وإلى ظهور طائفة من الكتاب يستطيعون الكتابة فى موضوعات مختلفة ، كانت وقفاً على الترجمة قبل ثلاثين أو أربعين سنة .

وهنا أيضاً يحسن بنا أن ننتظر أطوار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة

لأن نشاط التأليف فى السنوات الأخيرة قد يرجع إلى عوارض مستحدثة فى الحرب العالمية الحاضرة ، ومنها قلة الوارد من الكتب والمطبوعات الأجنبية ، واتساع الوقت للقراءة واللبث بالمنازل فى الليالى التى قيدت بها الإضاءة ومواعيد السهر فى الأندية العامة ، ومنها ضمور حجم الصحف والمجلات وفرض الرقابة على المنازعات السياسية التى تشغل طائفة كبيرة من القراء ، ومنها حالة الرواج التى يسرت أثمان الكتب لمن لم تكن ميسرة لهم قبل سنوات .

فإذا استقرت هذه الأسباب جميعها فى قرارها بعد تبدل الحال وضحت الحقيقة فى حركة التأليف ووضحت كذلك فى حركة الترجمة ، لأن الترجمة قد تعود إلى رجحانها بعد تدفق المؤلفات الأجنبية التى تعالج مشكلات العالم فى منابتها الأولى ، وقد يكون تدفق هذه المؤلفات موجباً للكتابة فى موضوعاتها والتعقيب عليها دون ترجمتها

أما أغراض الأدباء من موضوعاتهم وكتاباتهم ، فالربع الثانى من القرن العشرين حقيق أن يشهد فيها انشعاباً لم يسبق إليه قط بين المدرستين الخالدتين على مدى الزمان ، ونعنى بهما مدرسة الفن للفن ، ومدرسة الفن لخدمة المصالح الاجتماعية أو المصالح السياسية

فمنذ وُجد الأدب وجد الأدباء الذين يكتفون بالتعبير لجماله وإعرابه عن سرائر النفس الإنسانية ، ووجد الأدباء الذين يعبرون ليرجّحوا دعوة على دعوة ، أو يقنعوا الناس بمذهب من مذاهب الإصلاح ويحركوهم إلى عمل مقصود .

ولكن الآونة التى نحن فيها تجنح بالناس إلى التفرقة الحاسمة بين المدرستين الخالدتين ، لأنها ليست تفرقة بين رهطين من الأدباء وكفى ، ولكنها تفرقة بين نظم حكومية وطبقات اجتماعية ودعوات فلسفية لا تزال عرضة للمناقشة فى صدد المعيشة اليومية وصدد التفكير والدراسة . إذ كان من قواعد الاشتراكية المتطرفة أن الطبقة الاجتماعية الغالبة على الحكم فى حل من تسخير الآداب والفنون والعقائد لخدمة مصالحها وتمثيل عاداتها وآمالها . فإذا أضيف القائلون بهذا الرأى لأنهم يدينون بالاشتراكية إلى القائلين به لأنهم ينكرون مذهب الفن للفن عامة ، فقد أصبحت الآونة الحاضرة فى الحقيقة آونة النظر فى المدرستين الخالدتين على وجه من الوجوه .

وقد ظهر فى اللغة العربية بعض القصص ، والدراسات التى تتناول المسائل الاجتماعية ، وتصور الغنى والفقير ، والرجل والمرأة فى صورة تستحث النفوس إلى طلب الاصلاح والتغيير . ولا تزال تظهر فيها قصص ودراسات تصور الحالة فى صورتها الفنية وتترك العمل المترتب على ظهورها فى هذه الصورة لشعور القراء . ولكننا نعتقد أن مصير الخلاف بين المدرستين ، كمصير الخلاف بين دعاة الفصحى ودعاة العامية ، فلا تنفرد مدرسة الفن للفن بالميدان ، ولا تنفرد به مدرسة الفن لخدمة المقاصد الاجتماعية ، لأن أنماط الكتابة والتفكير لا تفرض بالإملاء والإيحاء ، وإنما تفرضها على الأديب سليقته ومزاجه . فمن غلبت فيه سليقة المصلح على سليقة الفنان ظهرت الدعوة فى كتابته عامداً أو غير عامد ، ومن غلبت فيه سليقة الفنان على سليقة المصلح لم يفده إكراهه على الدعوة ، إلا أن يقتسر طبعه على غير ما يحسنه ويجيد فيه ، ولن تخلو الدنيا من أصحاب السليقتين .

وقد أسلفنا فى صدر هذه الكلمة أن درجة المحافظة — فى كل قطر من الأقطار العربية إنما تقاس بمقياس التراث الإسلامى فيه ؛ فحيثما تمكن هذا التراث فى جوار الأماكن المقدسة أو المساجد الكبرى أو المعاهد العلمية العريقة فهنالك تزداد الأناة فى تلبية الاتجاه الحديث .

ولا تصدق هذه الملاحظة على شىء صدقها على الدعوات الاجتماعية التى تمس قواعد الدين . فأن درجة النفور منها تكاد تتمشى فى الترتيب بين الأقطار الإسلامية على حسب المعاهد العريقة التى فيها وحسب منزلتها فى القداسة والرعاية الدينية ، وذلك هو شأن الأقطار العربية فى كل تجديد له علاقة بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد .

وإذا أردنا أن نوجز القول فى وصف الاتجاهات الحديثة بجملة القول فى وصفها ، بعد هذه اللمحات عن مبناها ومعناها ، أننا نعبر الآن فترة البداية فى الاستقلال والثقة بالنفس ، وأن هذا الاستقلال يتجلى حيناً فى التحرر من القديم ويتجلى حيناً آخر فى التحرر من الجديد .

فقد مضى زمان كان يكفى فيه أن يكون الشىء قديماً ليحكي بلا تصرف ولا مراجعة ، ومضى بعده زمن كان يكفى فيه أن يكون الشىء أوربيا أو حديثاً ليحكى بلا تصرف ولا مراجعة ، فهذا الربع الثانى من القرن العشرين قد عرف أناساً يأبون التقيد بكل قديم لأنه قديم ، كما يأبون التقيد بكل جديد لأنه جديد . ومن الناس اليوم من يوصف بالابتكار والجرأة لأنه يستمسك بقديم كان الاستمساك به وقفاً على الجامدين ، ومنهم من يوصف بالجمود والمحاكاة لأنه يعجل إلى الجديد الذى يستحب على سنة التقليد . ولعل الحقيقة المقبلة هى التى يكتب لها أن تثبت قدم الاستقلال وتطلق الآراء من حجر القديم والجديد على السواء .

عباس محمود العقاد